الاهم من الناحية النقدية ، فهو يحمل معنى « الاسلوب الخشن » أو الفج . فقد يكون جمال الرخام الصلد والبشرة الجذابة في ملامستهما ونعومة ملمسها . ولكن من قال ان السطوح الخشنة ، القاسية ، المتعرجة لا تحمل الينا احساسا بالجمال يعادل احساسنا بالملاسة والزلق ، وان كان يختلف عنه كليا ؟ ومن قال ان جهامة الجبل الشاهق المتكسر الصخور ، والبشرة المجعدة الملأى بالغضون ، والقصر الانيق المتهدم المتناثر الاجزاء ، لا يبث في النفس من الروعة ما يعادل جمال القطة الاليفة بالنسبة للسبع الضاري . فاذا كان للاسلوب المصقول تاثير الدعة فان للاسلوب الخشن تاثير الروعة ــ وهنا انبه على سبيل الاحتياط ــ بانني لا اعني بالاسلوب الخشن « UNCOUTH - STYLE » مقولة لونجينوس ، ومن بعده « كانت » في « السامي » « SUBLIME » ، وان كان الاسلوب الخشن يتصل بمفهوم الروعة « SUBLEMITY » عند « كانت » من حيث المظهر وليس من حيث التاثير . كذلك يختلف الاسلوب الخشن عن مفهوم جمال القبح كما قدمته الواقعية الطبيعية وبعض الرومانتيين قبلهم ، وان كان يتصل به ايضا من حيث الحرص على تقديم الواقع بفجاجته ودون تزويق :

« لا فائدة الآن من الاحتجاج على اسنان الآلة الكاتبة أيها الحوت . كل هذه النخلة من الماء المسنون ــ هذه القامة الطويلة من الشبابيك ــ هذا القطار الذي كان يحمل جرائد الصباح وفنجان القهوة الى السفن ــ ها انت الآن رسالة في زجاجة ــ ترفعها الصنارة من الماء الى اسنان المطبعة ... »

هذه هي السطور الاولى من المقدمة . كل شيء في هذا النص مدبب حاد ، متحرك ، متنافر لكنه متواصل في النهاية . انه اسلوب يقاوم مواضعات الحياة المألوفة ، يقاوم الدعة والاستسلام ، يتمرد ، يتشدد ثم يتعدد فينجر الى الواقع غصبا عنه . الاسلوب هنا جزء من الموقف : لا ينقله ولا يحاكيه ولا يوشيه ولا يتعالى عليه ــ الاسلوب موقف . فمثلما يتأبى الشاعر على الواقع ويستنكر ان يساق شعره الى المطبعة ، كذلك الاسلوب يقاوم ويصارع . لقد أحسن الشاعر صنعا في وضع هذه المقدمة النثرية ، فهي مدخل يهيء القارىء للاقاة الشعر . فهذا الشعر غريب عن الجو المألوف والعرف الادبي السائد الذي يندرج فيه الشعر العربي بأكمله ، لا يشذ عنه الا هذا الديوان وقصائد أخرى لا تبلغ الى حجمه في الشعر العربي كله . ولعل الاسلوب الخشن في شعر معين بسيسو يقدم افضل نموذج معروف في العربية لهذا الضرب من الكتابة ، في شعره ونثره على السواء . وأبرز خصائصه ان الصورة الخشنة تواكب اللفظ الخشن على نحو غير متوقع ولا مألوف ولا ــ حتى ــ مرغوب لان الاسلوب تصادمي . فهو لا يصادم الواقع ، بل ينقله بخبث وفجاجة ، على نحو يصدم ذوقنا ، يخدش حياءنا ، يعرينا امام أنفسنا . انه اسلوب مهين أكثر من الاسلوب الهجائي . لان شاعر الهجاء يضع نفسه موضع السارد ، المحايد ، المنتقد للآخرين ، فيما هو منزه عن عيوبهم . اما معين بسيسو فيقدم الشاعر والقارىء والعالم معا في نسق واحد وسياق واحد . فشعره صورة ابداعية مباشرة بشعة لحقيقة بشعة وواقع حقير ومعالجات فاشلة تافهة . انه شعر الحقيقة :

الارض ضاعت ،

لم يعد لنا في وتد لجام